تاريخ الإرسال (2019-12-24)، تاريخ قبول النشر (2020-01-19)

د. فاتن عبد الرحيم الجغل

اسم الباحث:

قسم أصول الدين / كلية الشريعة / الجامعة
الأردنية / الأردن.

اسم الجامعة والبلد:

البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: fatenaljughul@yahoo.com

الرّدّ على الشبهة المثارة حول قول الرسول صلى الله عليه وسلم: واتقوا النساء من حديث: الدنيا حلوة خضرة

<https://doi.org/10.33976/IUGJIS.29.1/2021/8>

الملخص:

تتناول هذه الدراسة الردّ على شبهة يثيرها مجموعة من اللادينيين حول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " واتقوا النساء "، حاملين هذا القول على أنّه إهانة للمرأة وانتقاص من شأنها ومحاربة لها وتحذير منها وتفضيل للرجل وتقديمه عليها. حيث تعرض الدراسة الردّ على الشبهة من واقع تكريم المرأة في عصر النبوة وصولاً إلى عصرنا الحاضر، وكذلك الردّ من خلال تجلية الفرق الشاسع بين وضع المرأة في المجتمعات الإسلامية ووضع المرأة في المجتمعات الغربية حيث نجد ارتفاع مؤشر الجريمة ضدّ المرأة إذ تتعرّض للكثير من العنف وامتهان الكرامة وفق ما تشير إليه الإحصاءات العالمية، وهو ما حذّر منه الرسول صلى الله عليه وسلم باتّقاء الوقوع في فتنة النساء.

كلمات مفتاحية: شبهة، اللادينيين، فتنة النساء، تكريم المرأة، تغريب المرأة.

The response to the suspicion raised about the Messenger peace and blessings of God be upon him, saying: Beware of the woman. From the hadeeth :The world is sweet green..

Abstract:

This study examines the response to a suspicion raised by a group of atheists about the Messenger of God's, peace and blessings of God be upon him, saying: " Beware of the women," claiming that this saying is an insult to the woman, belittling her, fighting against her, warning from her, preferring the man and advancing him on her. The study presents the response to the suspicion from the reality of honoring women in the era of prophethood up to the present day, as well as by showing the vast difference between the status of women in Islamic societies and the status of women in western societies where we find a high index of crime against women who are exposed to a lot of violence and abuse of dignity according to what the global statistics indicate, which the Messenger, peace and blessings of God be upon him, had warned against by preventing falling into the temptation of women.

Keywords: spicion, atheists, temptation of women, honor of women, estranging of women.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وخير الصلاة وأتم التسليم على النبي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.. فإن من عدل هذا الدين وسماحته أن منح الكرامة لكل بني آدم على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وألوانهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁽¹⁾، ومن هنا نجد الكرامة الإنسانية والعدالة لا تفرق بين ذكر وأنثى، وبالنظر إلى المرأة تحديدًا نجد المفارقة الجلية بين وضع الأنثى في المجتمعات الملتزمة بتعاليم الإسلام ووضع الأنثى في مجتمعات أخرى حررتها من كل التعاليم والضوابط، فأبهرت الجهلاء بقشور زائلة من السعادة الزائفة، وأخفت الكثير من الأمراض الفردية والمجتمعية والتي تكاد تجني على المرأة ودورها في بيتها والمجتمع. وقد جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على القيمة الحقيقية لدور المرأة في المجتمع منذ النشأة الأولى للمجتمع المسلم إلى يومنا هذا، رادين بذلك على الشبهات التي تطلق هنا وهناك بانتقاص الإسلام لحق المرأة وامتهان كرامتها، واعتقادهم بحاجة المسلمة للاطلاع على النمط الغربي في معاملة المرأة والإفادة منه.

مشكلة البحث:

مع انتشار الفكر اللاديني تثار شبهات كثيرة حول الأحاديث النبوية في التشكيك بثبوتها، أو التشكيك بموضوعاتها، وترد علينا هنا شبهة تثار حول حديث " إِنَّ الدُّنْيَا خُلُوةٌ خَضِرَةٌ " والتركيز على قوله صلى الله عليه وسلم: " وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ". باعتبار هذه المقولة جريمة في حق المرأة، وعلى حدّ زعمهم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القول يحارب المرأة ويحطّ من شأنها ويحدّر منها على اعتبار كونها فتنة، ويشجّع على جعل المجتمع المسلم مجتمعًا ذكوريًا يمنح المرأة دورًا هامشيًا لا قيمة له. من هنا كان لزامًا علينا الوقوف في وجه هذه التّرهات البعيدة عن الحقيقة والواقع كلّ البعد، وتنفيذ هذه المزاعم من خلال تجلية دور المرأة المسلمة الواعي المؤثر ابتداءً من عصر النبوة وصولًا إلى يومنا هذا.

الهدف من الدراسة:

إلقاء الضوء على واحدة من الشبهات التي يثيرها أعداء الدين من خلال الطعن في السنّة، وتنفيذ مزاعمهم، وتجلية الحقائق. وفيما يخص هذه الشبهة تحديدًا يهدف البحث إلى:

- بيان المكانة الرفيعة التي حظيت بها المرأة في المجتمع المسلم، ودور السنة في منح المرأة هذه المكانة.
- الإفادة من واقع المرأة في المجتمعات اللادينية للرد على هذه الشبهة، حيث تشير الإحصاءات الرسمية العالمية إلى تدرّي وضع المرأة في هذه المجتمعات، مقارنة بوضع المرأة في المجتمعات الإسلامية.

منهج البحث:

وقد جاء الرّد على هذه الشبهة من خلال المنهج الاستقرائي بجمع الروايات التي تبين دور المرأة المؤثر في أحداث المجتمع المسلم، وكذا المنهج الوصفي الذي يصف المكانة التي وصلت إليها المرأة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من خلال الروايات التي تبين تكريم الرسول صلى الله عليه وسلم للمرأة والرفع من شأنها، ومن خلال المنهج التحليلي نحلل الروايات الحديثية وواقع المرأة المعاصر في المجتمعات الإسلامية، ونستنبط منها فوائد تدحض هذه الشبهة، ولا يفوتنا استخدام المنهج النقدي بعد الاطلاع على وضع المرأة في المجتمعات الغربية ذات التحرر من القيم والأخلاق.

[سورة الإسراء: 70].

وبالنسبة للأحاديث الواردة في البحث اكتفيت باعتبار صحتها وجودها في الصحيحين أو أحدهما، وإذا خرجتها من مصنف آخر غير الصحيحين اعتمدت رواية المصنف الأسبق، وأوردت قولاً أو أكثر لعلماء الحديث في تصحيح النص أو قبوله، وقد اكتفيت بذلك لأن موضوع البحث ليس في العقيدة ولا الغيبيات ولا في الحلال والحرام.

الدراسات السابقة:

توجد دراسات كثيرة تبين مكانة المرأة في الإسلام وتجمع النصوص القرآنية والنبوية التي تؤيد ذلك، وكذلك توجد دراسات تطرح الشبهات المثارة من المستشرقين واللاذنيين حول المرأة وترد عليه مثل كتاب د. عبد الحميد عيد عوض.

ولكني لم أجد أي دراسة تتناول هذه الشبهة في هذا الحديث تحديداً والردّ عليها.

خطة البحث: وقد جعلت هذه الدراسة في مبحثين على النحو التالي:

المبحث الأول: الطعن في حديث: "إن الدنيا حلوة خضرة...."، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تخريج الحديث، والمعنى الإجمالي.

المطلب الثاني: موطن الشبهة والطعن في الحديث.

المبحث الثاني: الردّ على الشبهة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرد على الشبهة من واقع تكريم المرأة في عصر النبوة.

المطلب الثاني: الردّ على الشبهة من واقع المرأة في عصرنا الحاضر.

أسأل الله أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، فإن أصبت فمن الله وإن زلت فمن نفسي والشيطان.

المبحث الأول: الطعن في حديث: "إن الدنيا حلوة خضرة..".

يعرض هذا المبحث تخريج الحديث ومقصود النبي صلى الله عليه وسلم منه، ويوضح موطن الشبهة التي أثارها أعداء الدين.

المطلب الأول: تخريج الحديث ومعناه الإجمالي.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ ".⁽¹⁾

المعنى الإجمالي:

يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر في هذا الحديث إلى معاني هامة يحتاج إليها الإنسان في حياته للوقاية من الفتن التي تعرض للإنسان ولا بدّ من النجاة منها كي يصل العبد إلى مرضاة الله سبحانه.

ومن ذلك التنبيه إلى خطر الدنيا وشهواتها في قوله صلى الله عليه وسلم: " الدنيا حلوة خضرة "، ويحتمل أن المراد به شيئان، أحدهما: حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة، فإنّ النفوس تطالبها طلباً حثيثاً فكذا الدنيا، والثاني: سرعة فنائها كالشيء الأخضر.⁽²⁾

⁽¹⁾ مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب الرقاق/ باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبينان الفتنة بالنساء، 2098/4، رقم الحديث (99) (2742).

وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن/ باب فتنة النساء، 1325/2، (رقم الحديث 4000).
والترمذي، سنن الترمذي، أبواب الفتن/ باب ما جاء ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، 483/4، (رقم الحديث 2191).

والنسائي، السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء/ ذكر الاختلاف على أبي رجا، 300/8، (رقم الحديث 9216).

⁽²⁾ انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 17/ 55.

وقوله صلى الله عليه وسلم: " وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا " أي: جاعلكم خلفاء في الدنيا، " فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ " يعني: أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله خلقها وخولكم إياها، وخولكم الاستمتاع فيها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها، فليست هي بأموالكم حقيقة بل أنتم فيها بمنزلة الوكلاء فناظر هل تتصرفون فيها على الوجه الذي يرضى به المستخلف أو لا. (1)
وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى: (2) ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ ﴾. فجعلهن من حب الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك، فهي تحمل الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهاك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد. (3)
وكون المرأة من أبواب الفتنة يرجع إلى خلق المرأة والتزامها، فإن كانت من أهل الدنيا منكبة ومغركة في الملمات والشهوات، ضلّت وأضلّت، وأما إذا كانت امرأة صالحة تعرف حق ربها في نفسها وبيتها وزوجها وأهلها، تكون نعم متاع الدنيا، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ " (4)

فالتحذير من فتنة المرأة والحض على اتقائها إنما هو حض على التربية الصالحة للبنات في بيت أهلها وتنشئتها على الصلاح منذ نعومة أظفارها، فإذا انتقلت إلى بيت زوجها كانت زوجة وأماً صالحة، تصون بيتها وتتأى به عن فتن المجتمع التي تحيط به. ولا يفهم البتة من هذا السياق أن الأمر في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " واتقوا النساء ". أنه معاداة للمرأة، وإنما هو سياق متكامل يحذر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من الإغراق في الشهوات المهلكة التي تفتك بالمجتمعات، كما هو الحال في الأمم السابقة - بني إسرائيل -، وكما نلمسه الآن في المجتمعات اللادينية التي تنخرها الأمراض الجنسية ويهدم أساساتها التفتك الأسري.

المطلب الثاني: موطن الشبهة.

بالنظر إلى اكتمال المنظومة التشريعية في الدين الإسلامي، حيث قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (5) نجد أعداء الدين يعجزون عن إيجاد أي ثغرة تنتقص من صلاحية التشريع لكل زمان ومكان، و نجدهم من حين لآخر يخلطون الشبهات التي تتبني على معلومات مغلوطة، ونصوص مجتزأة من سياقها، وفهم بعيد عن روح النص، كما حدث في التهمة العارية عن الصحة والتي تلصق بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ".

حيث يجد الجاهل ضيق الفهم في هذا الكلام طعناً في المرأة واعتبارها عدواً للرجل وخطراً على المجتمع، يجب أن يُنقَى ويُحارب. وهنا يظهر لنا الفهم السقيم لمفهوم " واتقوا النساء " إذا وضع في غير سياقه، وبعيداً عن مضمونه، ليستقر ذوات العقل القاصر من النساء، وإقناعهن بأن في هذا القول رجعية لا ينبغي أن تكون في هذا القرن، وأن الخلاص لا يكون إلا بتغريب المرأة المسلمة، وانفتاحها على التحرر الذي تعيشه المرأة الغربية مع انعدام أي قيمة لتعاليم الدين، ودون أي ضابط ديني أو أخلاقي أو قيمي. بالطبع هذه الشبهة مصدرها العداء لهذا الدين بقصد أو بجهل، لأن الدارس لواقع المرأة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وما تلتها من عصور مرت على المجتمع الإسلامي، يدرك المكانة المرموقة التي اعتلتها المرأة المسلمة، والأدوار الهامة التي اطلعت بها وأثرت في مجريات تاريخ الدولة الإسلامية وحاضرها.

وبإلقاء نظرة على وضع المرأة منذ بداية نشأة الدولة الإسلامية نجد أنه:

(1) انظر المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 179/2.

(2) [سورة آل عمران: 14].

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 138/9.

(4) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، 2/ 1090، حديث (64) (1467).

(5) [المائدة: 3].

" مما لا شك فيه بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أدى رسالته الإصلاحية الكبرى في بلاد تسودها القبلية والعشائرية بالزعامات المتوارثة والتي كانت تفعل فعل السحر في المجتمعات الجاهلية ونقض معالمها، وتبعث فيها الفساد والجهل.

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بما جاء به من تشريعات خلقية واجتماعية استطاع بفترة قصيرة أن يعطي صاحب كل حق حقه، وينظم المجتمع الإسلامي تنظيمًا دقيقًا خصص فيه للمرأة التي كانت مهضومة الحقوق، أكبر قدر من التطور والرقى، حيث أعلن مساواتها مع الرجل لا تزيد عنه ولا تنقص في الحقوق والواجبات".⁽¹⁾

" ولم يعتبر الإسلام المرأة مكروهة، أو مهانة، كما كانت في الجاهلية، ولكنه قرر حقيقة تزيل هذا الهوان عنها: وهي أن المرأة قسيمة الرجل لها ما لها من الحقوق، وعليها أيضًا من الواجبات ما يلائم تكوينها وفطرتها، وعلى الرجل بما اختص به من الرجولة وقوة الجلد، وبسطة اليد، والصبر على التعب والمكاره، أن يلي رياستها، فهو بذلك وليها يحوطها، ويذود عنها، وينفق عليها من كسب يده.

ومن مظاهر تكريم المرأة في الإسلام أن سواها بالرجل في أهلية الوجوب والأداء، وأثبت لها حقها في التصرف، ومباشرة جميع الحقوق كحق البيع والشراء وحق التملك وغيرها".⁽²⁾

وبالإطلاع على التشريعات الإسلامية نجد العدالة التي حققتها هذه التشريعات بين الجنسين ذكر وأنثى، بعد الإجحاف الذي لحق بالمرأة في غير المجتمعات الإسلامية، وتحت مظلة تشريعات وضعية تنحاز إلى الرجل على حساب المرأة. وفي هذا الصدد نذكر مصطلح القوامة - قوامة الرجل على المرأة - الذي يتشدد به المغرضون إذا فهم على غير ما أراده الشارع الحكيم.

" فالقوامة هي " تميز " لا يلغي " المساواة " ، وإنما يجعلها مساواة الشقين المتميزين لا الندين المتماثلين، فيكون معها التماثل لا التنافر، فهي مسؤولية القيادة في الميادين التي أهدت الذكورة الرجل للقيادة فيها، فكأنها لون من المسؤولية المؤسسة على تقسيم العمل بين الذكورة والأنوثة، بما يتسق مع فطرة الخلق لكل منهما، ولذلك فهي لا تلغي قيادة المرأة في الميادين التي أهدتها الأنوثة لتكون قائدة فيها، وينص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن المرأة راعية في ميادين، كما أن الرجل راع في ميادين، " كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا.. الحديث³".⁽⁴⁾

" فالاختلاف في التكوين والخصائص يقابله اختلاف في التكليف والوظائف، فهناك فوارق جسمية ونفسية واضحة بين الرجل والمرأة تتناسب مع الوظائف المنوطة بكل منهما".⁽⁵⁾

وبعد هذا العرض السريع لقيمة ومكانة المرأة في المجتمع الإسلامي، نجد أن لا حقيقة لوجود هذه الشبهة على أرض الواقع، وإنما مكان هذه الشبهة هو عقول المدّعين المشككين، ولا تفوتنا الإشارة إلى أن المرأة إذا تحرّرت من تعليمات الدين التي صانتها عن النفاذ، ستكون أكبر عدو لنفسها وللمن حولها، ومن ثمّ تعطي الفرصة للمغرضين لاستخدامها سلعة للغواية وهدم المجتمعات، وهذا ما قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي كلامه صلى الله عليه وسلم دعوة للمرأة لحفظ نفسها وعرضها ودينها لتكون شريكة الرجل في بناء المجتمع وإعلاء شأنه.

(1) انظر كمال باسمة، تطور المرأة عبر التاريخ، ص 63.

(2) انظر زينو، تكريم المرأة في الإسلام، ص 9.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمنازل، 5/2، رقم الحديث (893).

وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم،

1459/3، رقم الحديث (20) (1829)

(4) انظر عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، ص 24.

(5) نصيف، حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة، ص 84.

المبحث الثاني: الردّ على الشبهة وتفنيدها.

سنعرض في هذا المبحث ردّا على هذه الشبهة نبرز من خلاله أنّ مقصد الرسول صلى الله عليه وسلم إنما كان النأي بالمرأة عن الرذيلة ووضعها بالمكانة التي تستحقها جنباً إلى جنب مع الرجل، متمتعة بالحقوق الكاملة التي منحها إياها تشريعات الإسلام، ومؤدية للواجبات الملقاة على عاتقها دون تقصير.

المطلب الأول: الرد على الشبهة من واقع تكريم المرأة في عصر النبوة.

الردّ على هذه الشبهة من واقع علو الشأن والرفعة التي حازت عليها المرأة من خلال تشريعات الدين الحنيف، وتتجلى تلك الرفعة في عدة صور مشرفة تحكي المكانة التي تبوّأتها المرأة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، نعدّ منها:

الصورة الأولى: المفارقة الواضحة بين وضع المرأة في الجاهلية وبعد الإسلام.

بالنظر إلى حال المرأة في العصور الجاهلية قبل الإسلام نجد المرأة تفقد بعض حريتها وكثير من حقوقها، كالإرث مثلاً، وليس لها على زوجها أيّ حق شرعيّ، باعتبار أنّ الحقوق الشرعية للمرأة لم تكن مسنونة ولا معروفة في ذلك العصر إلا انطلاقاً من بعض التقاليد والعادات.

وقد كانت المرأة في بعض القبائل تعتبر كالسائمة، تورث مع سوائم زوجها وتصبح ملكاً لورثة الزوج، وإذا أنجبت المرأة وولدت أنثى فيتشاهمون ولا يرحّبون بميلادها، لاعتقادهم أنّها مجلبة للعار ولعائلتها وقبيلتها، وكان الوالد في أغلب الأحيان يذهب بطفله وهي حيّة، فيحفر لها حفرة يدفنها فيها.

وقد كان بعض الرجال إذا احتاجوا لسدّ بعض حاجاتهم الاقتصادية، يقدمون على رهن أو بيع نسائهم لسداد ما تراكم عليهم من ديون.⁽¹⁾

مما سبق يتبيّن لنا الوضع المتردّي الذي كانت تحياه المرأة في عصر الجاهلية، فلم تكن المرأة معترفاً بها على أنّها كائن بشري، وإنما سلعة تباع وتشترى، وتمتحن كرامتها، مسلوبة الحرية والحقوق.

ثمّ كانت النقلة النوعية لواقع المرأة في ظلّ تشريعات الإسلام العادلة، التي جعلت المرأة شريكة الرجل في الحقوق والواجبات، للعمل سوياً لعمارة هذا الكون، ولم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصة إلا نبّه وأكد على الوصية بالنساء خيراً.

ففي خطبة الوداع التي نجد تركيز الرسول صلى الله عليه وسلم على أهم القيم الدينية والأخلاقية التي يستلهم منها المسلم الدروس والعبر، وعلى رأس ذلك الوصية بالنساء خيراً.

عن جابر رضي الله عنه في روايته لخطبة الوداع، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"... فأتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحلتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .. الحديث"⁽²⁾

وأوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ خير الناس خيرهم لأهلهم، وبدأ صلى الله عليه وسلم بنفسه، فكان خير الناس لأهلهم.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي .. الحديث ".⁽³⁾

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ "⁽⁴⁾

(1) انظر كيال، نظر المرأة عبر التاريخ، ص (53-63).

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، 886/2، رقم الحديث (147) (1218).

(3) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، 192/6، رقم الحديث (3895). قال الترمذي: هذا حديث

حسن صحيح.

(4) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حسن معاشره النساء، 636/1، رقم الحديث (1978). قال الشيخ الألباني: صحيح. صحيح الجامع

الصغير، 620/1.

ومقابل الشؤم الذي كان يرافق مولد الأنثى نجد النبي صلى الله عليه وسلم رغب بالإحسان إلى الأنثى وجعلها من أبواب الأجر التي توجب لوليها الجنة وتقويه من النار.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، اتَّقَى اللَّهَ وَأَقَامَ عَلَيْهِنَّ، كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا " وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ الْأَرْبَعِ⁽¹⁾.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئا غير تمر، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت، فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا، فأخبرته فقال: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»⁽²⁾.

وجعل من أبواب البر والصدقة اللقمة التي يضعها الرجل في فم زوجته.

عن عامر بن سعد، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " .. وَلَسْتُ تُتْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجَزْتُ بِهَا، حَتَّى اللَّقْمَةَ تَجْعَلَهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ.. الحديث"⁽³⁾.

وكذلك قدم بر الأم على بر الأب في صحبة الوالدين، تقديرًا للأُم على المجهود الذي تقدمه أثناء فترة الحمل والإنجاب وملازمة الأولاد في كافة مراحل حياتهم على صورة تفوق بالود والملازمة والرعاية الدور الذي يقدمه الأب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»⁽⁴⁾.

وقد تجاوز رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هفوات وزلات الأنثى ونظر بعين الرحمة إلى جانب الضعف الأنثوي مقارنة بالرجل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنْ أَعْوَجَ شَيْءٌ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتُهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»⁽⁵⁾.

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على كثير من حقوق المرأة التي كانت تفتقر إليها المرأة في الجاهلية، أهمها:
أولاً: تحريم الاعتداء على المرأة بالقول والفعل.

ومن ذلك أن جعل قذف المحصنات من الموبقات المهلكات،

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشَّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالنَّوْلي يَوْمَ الرِّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»⁽⁶⁾.

وكذلك تحريم الاعتداء على المرأة بالفعل، وذلك تأسيًا بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي لم يعرف عنه ضربه لامرأة قط.
عن عائشة رضي الله عنها، قالت: " مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " ⁽⁷⁾.

(1) ابن حنبل، مسند أحمد، 48/20، رقم الحديث (12593)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب : اتقوا النار ولو بشق تمر، 110/2، رقم الحديث (1418).

(3) المرجع السابق، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، 178/5، رقم الحديث (4409).

(4) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب أحق الناس بحسن الصحبة، 2/8، رقم الحديث (5971).

(5) المرجع السابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، 133/4، رقم الحديث (3331).

(6) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رمي المحصنات، 175/8، رقم الحديث (6857).

(7) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مباحته صلى الله عليه وسلم للأثم واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرمانه، 1814/4، رقم الحديث (2328).

ثانيًا: إعطاء المرأة الحق في اختيار زوجها، بعد أن كانت تمتن كرامتها بأنواع الزواج التي كانت تعرف في الجاهلية وكلها لا تستأذن فيه المرأة ولا تستشار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لَا تُكْحَمُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُكْحَمُ الْبَكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: " أَنْ تَسْكُتَ ". (1)

ثالثًا: الصبر على المرأة، حتى وإن كان عندها ما يعييبها، فبالتأكيد سيجد لديها الرجل الكثير مما يرفع شأنها عنده.
عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا يَفْرُكُ² مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ " (3)

الصورة الثانية: دور المرأة في مساندة الرسول صلى الله عليه وسلم (خديجة رضي الله عنها نموذجًا).

جاء في رواية عائشة رضي الله عنها لحادثة تنزل الوحي والآي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وموقف خديجة رضي الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: "... فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «رَمَلُونِي رَمَلُونِي» فَرَمَلُوهُ حَتَّى دَهَبَ عَنْهُ الرَّوَغُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُحْزِنُكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَغْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنْطَلَقْتُ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ أَمْرًا تَنْصَرَفُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ.. الحديث. (4)

وفي هذا درس بليغ للمرأة المسلمة وللزوجة بصفة خاصة أن تقوم برسالتها المنزلية خير قيام أن تؤدي لزوجها ما ينبغي أن تقوم به من تقوية معنوياته وإزاحة القلق النفسي والهم من حياته حتى يستطيع القيام بدوره على أتم وجه. (5)

ولم تتأخر خديجة رضي الله عنها بدعم الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسها ومالها - وقد كانت ربة مال وتجارة - حتى كان عام موتها - العام العاشر للبعثة - من أشد الأعوام قسوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي فقد بموتها وموت عمه أبي طالب الركن الشديد الذي استند إليه في بداية الدعوة.

وفي مقابل دعمها للدعوة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم وجدت الوفاء منقطع النظير عند زوج لا يغير وفاءه تقادم الأيام والأعوام.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَشْتَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَعَزَّتْ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشَّدَقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: " مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ أَمَنْتُ بِئِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسَّيْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ " (6)

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، إلا على خديجة وإنني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة، فيقول: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها، 17/7، رقم الحديث (5136).

² لا يفرك: أي لا يبيغض. شرح السيوطي على صحيح مسلم، 4:80.

(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، 1091/2، رقم الحديث (1469).

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، 7/1، رقم الحديث (3).

(5) الغزالي محمد، المرأة في الإسلام، ص115.

(6) أحمد بن حنبل، المسند، 356/41، رقم الحديث (24864). قال الشيخ شعيب: حديث صحيح. 356/41.

أَدْرِكُهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: " أَرْسَلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ " قَالَتْ: فَأَغْصَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةُ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حَبَهَا» (1)
الصورة الثالثة: المرأة في بيت النبوة. (عائشة رضي الله عنها نموذجًا).

واقع المرأة في بيت النبوة يشير بقوة إلى مزيد من الرفعة والتكريم والود للمرأة، ولعل النموذج الأقرب للحديث عن قيمة المرأة في بيت النبوة هو أنموذج علاقة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مع عائشة رضي الله عنها.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتردد في إظهار محبته لها والتصريح بذلك أمام صحبه الكرام.
يحكي عمرو بن العاص رضي الله عنه سؤاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» فَعَدَّ رَجَالًا. (2)

وبعد التصريح بالمحبة قولاً، نجد فعله صلى الله عليه وسلم بالتودد لها وملاطفتها وتقدير اهتماماتها.
عن عائشة رضي الله عنها قالت: " كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أَتَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فَيٍّ، فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرِّقُ الْعَرَقَ³ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أَتَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فَيٍّ⁽⁴⁾ ورويت قائلة: كَانَ يَوْمَ عِيدٍ، يَلْعَبُ السُّودَانُ⁵ بِالْدَّرَقِ⁶ وَالْحِرَابِ، فَأَمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا قَالَ: «تَشْتَهَيْنَ تَنْظِيرِينَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِي عَلَى خَدِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ» حَتَّى إِذَا مَلْتُ، قَالَ: «حَسْبُكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَادْهَبِي»⁽⁷⁾

وكان نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم يدرك دواخل النفس البشرية، ويعي تماماً جوانب الضعف البشري عامة، ويدرك ما تفعله غير المرأة على زوجها، فما بالك إذا كان هذا الزوج سيد الخلق.

عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقَ الصَّحْفَةَ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُكُمْ» ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَيْتِ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى النَّبِيِّ كَسَرَتْ صَحْفَتَهَا، وَأَمْسَكَتِ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ كَسَرَتْ. (8)

وكان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بالرغم من مشاغله ومسؤولياته الكثيرة إلا أنه في بيته يكون في خدمة أهله، ويجد الوقت ليروح عن نفسه وزوجه في جو من الألفة والود اللذان يمنحان المرأة مزيداً من السكينة والطمأنينة.

عَنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَغْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا خَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ»⁽⁹⁾

(1) مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنه، 4/1888، رقم الحديث (2435).

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، 5م5، رقم الحديث (3662).

³ أتغرق العرق هو بفتح العين وسكون الراء العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم وجمعه عراق وهو جمع نادر يقال عرقت اللحم وأعرقته وتعرقته إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك. حاشية السيوطي على سنن النسائي، 1/56.

(4) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سورها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، 1/245، رقم الحديث (14) (300).

⁵ السودان: الحبوش، انظر القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر، 5/97.

⁶ الدرق: ضرب من الترسة. انظر الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، أساس البلاغة، 1/284.

(7) البخاري، صحيح البخاري، أبواب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد، 2/16، رقم الحديث (950).

(8) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة، 7/36، رقم الحديث (5225).

(9) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، 1/136، رقم الحديث (676).

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رَجُلِي، فَلَمَّا حَمَلْتُ
اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: «هَذِهِ بَيْتُكَ السَّبَقَةِ»⁽¹⁾

الصورة الرابعة: مشاركة المرأة في الحياة السياسية:

كان للمرأة منذ النشأة الأولى للدولة الإسلامية مشاركة فاعلة في تأسيس الدولة الوليدة من خلال المشاركة في بيعة العقبة.⁽²⁾
ومبايعتهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الطاعة وأن لا يأتين ببهتان يفترينه..

عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الْآيَةِ يَقُولُ اللَّهُ:
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ}⁽³⁾، قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ بَايَعْتُكَ» كَلَامًا، وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ، مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلَّا يَقُولُهُ: «قَدْ بَايَعْتُكَ عَلَى
ذَلِكَ».⁽⁴⁾

ومن ذلك أيضًا دور المرأة في تأمين السرية التامة لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه،
من خلال تأمين الطعام والشراب لهما في الغار من خلال المجاهدة ذات النطاقين كما جاء في السيرة:
وَأَتَتْهُمَا أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِسُفْرَتَيْهِمَا، وَنَسِيتُ أَنْ تَجْعَلَ لَهَا عِصَامًا فَلَمَّا ارْتَحَلَا ذَهَبَتْ لِتُعْلِقَ السُّفْرَةَ، فَإِذَا لَيْسَ
لَهَا عِصَامٌ، فَتَحَلَّ بِطَاقِهَا فَتَجَعَلُهُ عِصَامًا، ثُمَّ عَلَّقَتْهَا بِهِ.⁽⁵⁾
وقد شاركت المرأة المسلمة في صناعة أحداث التاريخ الإسلامي، حيث شاركت في الهجرتين الأولى والثانية إلى الحبشة⁽⁶⁾، وكذلك
الهجرة إلى المدينة⁽⁷⁾، انتصارًا للدين والدعوة.

ولا يفوتنا موقف أم سلمة رضي الله عنها في الحديبية عندما تباطأ الصحابة في تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن
يحللوا، كراهة منهم للصلح الذي كان في ظنهم نوعًا من الهوان، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة رضي الله عنها
بذلك فكانت حكمتها بمثابة الحل الناجع الذي حفظ كيان المجتمع من الاختلاف والتصدع، حيث اقترحت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن يبدأ هو بالنحر والحق فيتبعه الصحابة في ذلك. وقد جاء في ذكر هذه الحادثة:
"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ اخْلُقُوا، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ثَلَاثَ مَرَارٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ
مِنْهُمْ أَحَدٌ، قَامَ فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا
كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُذْنُكَ وَتَدْعُو بِحَالِقِكَ فَيَحْلِقَكَ، فَقَامَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ: نَحَرَ بُذْنَهُ، وَدَعَا خَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا
رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَانْحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا عَمًّا"⁽⁸⁾
وكذلك كانت النساء تشكل جناحًا لا غنى عنه في جيوش المسلمين، حيث كان يسند لهن إعداد الطعام والشراب للجيش المسلم،
وكذا مهمة التمريض.

(1) أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، 3/ 29، رقم الحديث (2578). قال الألباني: صحيح. صحيح الجامع الصغير، 2/ 1175.

(2) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، 1/ 441.

(3) (سورة الممتحنة: 12).

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب "إذا جاءك المؤمنات مهاجرات..."، 6/ 150، رقم الحديث (4891).

(5) ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، 2/ 486.

(6) انظر ابن اسحق، السيرة، ص (222).

(7) انظر المرجع السابق، ص (176).

(8) البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، 4/ 107.

عَنِ الرَّبِيعِ بْنِتِ مُعَوِّذٍ، قَالَتْ: " كُنَّا نَعُزُّو مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَسْقِي الْقَوْمَ، وَتَحْدُمُهُمْ، وَتَرُدُّ الْجُرْحَى وَالْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ".⁽¹⁾

وفي كل مراحل الدَّعوة كانت المرأة حاضرة بصبرها وثباتها كما يتجلى ذلك بموقف سميَّة الصابرة المحتسبة في بداية الدَّعوة والتي وعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة لقاء ثباتها.

فقد روي أن سمية أم عمار عذبتا الحي من بني المغيرة بن عبد الله بن مخزوم على الاسلام وهي تأبى غيره حتى قتلوها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بعمار وبأمه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة، فيقول: "صبراً آل ياسر موعدكم الجنة".⁽²⁾

الصورة الخامسة : مساهمة المرأة في تحصيل العلم ونشره.

حرصت المرأة المسلمة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على حضور مجالس العلم والذكر مع النبي صلى الله عليه وسلم، حتَّى إِنَّ الصَّاحِبَاتِ طَلَبُوا تَخْصِيسَ مَجَالِسَ لَهُنَّ مِنْ دُونِ الرِّجَالِ، فَأَجَابَهُنَّ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذَلِكَ. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَتْ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرِّجَالَ، فَأَجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَتَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ.. الحديث⁽⁴⁾

وقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خير أسوة لغيرها من النساء، إذ نجدها قد نهلت من معين النبوة الصافي، وحرصت على تبليغ ما تدرت عليه في بيت النبوة وأفادته من النبي الكريم.

" وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض، وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة. ⁽⁵⁾

وعن عروة قال: " ما رأيْتُ امرأةً كانتْ أَعْلَمَ بِطِبِّ، وَلَا نَفَقَةٍ، وَلَا بِشَعْرِ مِنْ عَائِشَةَ " ⁽⁶⁾.

ومن غزير علمها أنَّها استدركت على الصحابة عدداً لا بأس به من الأحاديث، فصوّبت فهمهم لها، وأوضحت لهم الفهم الأقرب للصواب فيما تعلّمته من المعلم الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما استدركته⁽⁷⁾ على حديث ابن عمر رضي الله عنهما، حيث روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِكُأَةٍ أَحَدٍ " ، قالت ولكنه قال: " إِنَّ الْكَافِرَ يَزِيدُهُ اللَّهُ بِكُأَةٍ أَهْلِهِ عَذَابًا، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ {أَصْحَكَ وَأَبْكَى} ⁽⁸⁾ ، {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} ⁽⁹⁾. قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ عَائِشَةُ، قَوْلُ عُمَرَ، وَابْنِ عُمَرَ، قَالَتْ: إِنَّكُمْ لَتُحَدِّثُونَنِي عَنْ غَيْرِ كَاذِبَيْنِ، وَلَا مُكْذِبَيْنِ، وَلَكِنَّ السَّمْعَ يُحْطِئُ. ⁽¹⁰⁾

المطلب الثاني: الزَّدَّ عَلَى الشَّبْهَةِ من واقع المرأة في عصرنا الحاضر .

سنعرض في هذا المطلب ردّاً على الشبهة من خلال أمرين:

⁽¹⁾ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب رد النساء الجرحى والقتلى إلى المدينة، 34/4، رقم الحديث (2883).

⁽²⁾ أخرجه الحاكم وعلّق عليه: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه المستدرک للحاكم، 438/3، رقم الحديث (5666).

⁽³⁾ محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، ص (192).

⁽⁴⁾ البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟، 32/1، رقم الحديث (101).

⁽⁵⁾ ابن الأثير، أسد الغابة، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، 186/7.

⁽⁶⁾ الطبراني، المعجم الكبير، 182/23، رقم الحديث (294).

⁽⁷⁾ الزركشي بدر الدين، الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق سعيد الأفغاني، ص 157، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية (1970).

⁽⁸⁾ [النجم: 43].

⁽⁹⁾ [الأنعام: 164].

⁽¹⁰⁾ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، 641/2، رقم الحديث (22) (929).

الأول استعراض شأن المرأة في هذا العصر وفي بلد مسلم، يستمد دستوره وقوانينه من الشريعة الإسلامية، وننظر كيف حافظت تعاليم الدين على تكريم المرأة تأسيًا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صنيعه مع المرأة في عصر النبوة. والأمر الثاني من خلال عرض لواقع المرأة في الدول اللادينية ذات التحضر المزعوم، ونلقي نظرة على إحصائيات عالمية تشير بوضوح إلى تصدّر هذه الدول لمؤشر الجريمة التي تستهدف المرأة بخلاف تدنّي هذا المؤشر فيما يخص المرأة في العالم الإسلامي.

أولاً: عرض نموذج لرعاية المجتمع المسلم المعاصر لحقوق المرأة.

نعرض فيما يلي نموذجًا للمرأة المسلمة، والتي حصلت على حقوقها من خلال دستور الدولة وبشكل رسمي، دولة ديانتها الرسمية هي الإسلام (الأردن نموذجًا)، المرأة الأردنية والتي قطعت مراحل هامة في مواكبة التطور مع الحفاظ على الالتزام بتعاليم الدين الحنيف.

فلنتعرّف على رعاية المجتمع المسلم للمرأة من خلال نصوص الدستور الصريحة والتي تنصف المرأة وتمنحها حقوقها على حدّ سواء مع الرجل.

ينصّ الدستور الأردني⁽¹⁾ في المادة (6)، بند (1): "الأردنيون أمام القانون سواء، لا تمييز بينهم في الحقوق والواجبات وإن اختلفوا في العرق أو اللغة أو الدين".

وهذا نصّ صريح بإعطاء المرأة حقّها كما الرجل تمامًا، لا يعيها كونها أنثى ولا ينقص ذلك من شأنها.

كما وقد جاء في المادة (20) من الدستور الأردني ما يؤكّد الحقّ الأساسي للمواطن ذكرًا كان أم أنثى في التعليم، وقد جعل التعليم الابتدائي إجباريًا ومجانًا في كلّ مدارس المملكة.

وفي هذا نصّ صريح بأحقّية المرأة في التعليم، لا بل إلزامها به في المراحل الأساسية.

وجاءت المادة (22) لتؤكد حقّ المرأة في تولّي المناصب العامة، وأنّ التعيين في الوظائف العامة من دائمة ومؤقتة في الدولة يكون على أساس الكفاءات والمؤهلات، لا فرق في ذلك بين ذكر أو أنثى.

وفي المادة (23) من الدستور البند (1) يضمن حقّ العمل لكلّ أردني دون تفرّق بين رجل وامرأة.

وقد عرض التقرير الحكومي ليوم المرأة من موقع رئاسة الوزراء بعضًا من الجهود الرّسمية حيال تعزيز دور المرأة.

أعلن المنسق الحكومي لحقوق الإنسان برئاسة الوزراء الجهود الرّسمية التي تبذلها الدولة حيال تعزيز دور المرأة، ويعتبر الأردن من أوائل دول الإقليم التي وضعت نصب عينها تطوير منظومة شاملة متكاملة تعنى بحقوق المرأة بشكل خاص والإنسان بشكل عام.

ويعتبر الاهتمام بحقوق الإنسان بشكل عام وحقوق المرأة بشكل خاص من أهم الأمور التي يجب أن نهتم بها في هذا العصر، عصر الإصلاح والتغيير، وذلك لما له من انعكاسات هامة على الأسر والمجتمعات.

وقد أكّد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1984 في المادة الثانية منه على حقوق الإنسان وأنّه يحقّ لكلّ فرد التمتع بكلّ الحقوق والحريّات الواردة في هذا الإعلان بدون أي تمييز شاملًا التمييز القائم على الجنس.

كما أكّدت مجموعة اتفاقيات منظمة العمل الدوليّة المعنية بحقوق العمل والتي انضمّ إليها الأردن إلى سبع اتفاقيات حقوق العمّال وعدم التمييز على أساس الجنس.

وجاءت اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضدّ المرأة والتي تعتبر المرجعية الرّئيسية لحقوق المرأة لتؤكد على مبدأ المساواة بين الجنسين وعدم التمييز ضدّ المرأة، كما نصّت هذه الاتفاقية على أنّ هذه الحقوق هي حقوق إنسانية لا يجوز انتهاكها وقد صادق الأردن عليها وتمّ نشرها في الجريدة الرّسمية في 2007 / 8 / 1.

(1) انظر الدستور الأردني.

وغني عن الإشارة أنَّ الدَّستور الأردني لعب دورًا جوهريًا في صياغة حقوق الإنسان الأردني وحقوق المرأة الأردنية خاصةً وتطوُّرها، وعليه فإنَّ التَّعديلات الدَّستوريَّة ومصادقة الأردن على الاتفاقيَّات الدَّوليَّة ونشرها في الجريدة الرِّسميَّة ما هو إلا تأكيد على حماية وتعزيز حقوق المرأة شكل عام وحقوق المرأة بشكل خاص. (1)

وقد جاء في تقرير المرأة الأردنية الصادر عن دائرة الإحصاءات العامة ووضعها في المملكة ما يلي:

شهد الأردن تطوُّرًا هائلًا في العقود القليلة الماضية في مجال تعليم الإناث وتحقيق المساواة بين الجنسين، حيث يعتبر تعليم الإناث من أهم الحقوق الاجتماعيَّة وهو أحد أبرز مؤشِّرات المساواة بين الرِّجال والنِّساء نحو تنمية مجتمعيَّة مستدامة. وتشير بيانات الجولة الثَّانية من مسح العمالة والبطالة لعام 2017 إلى أنَّ نسبة الأميَّة بين الإناث الأردنيَّات اللاتي أعمارهنَّ 15 سنة فأكثر بلغت 6.9%، في المقابل بلغت نسبة الإناث المتعلِّمات لنفس الفئة العمريَّة 93.1%.

وأظهرت بيانات وزارة التربية والتَّعليم للعام الدَّرَاسي 2016/2017 أنَّ 49.1% من الملتحقين في مرحلة التَّعليم الأساسي كن من الإناث، كما شكَّلت الإناث في التَّعليم الثَّانوي الأكاديمي أكثر من نصف الطُّلاب.

وعلى صعيد التَّعليم العالي، سجَّلت نسبة التحاق الإناث في الجامعات الأردنيَّة 51.6% مقابل 48.4% للذكور في عام 2016. يعتبر نجاح المرأة في الوصول للمواقع القياديَّة ومساهمتها الفعَّالة في الحياة العامَّة ومؤسسات المجتمع المدني من أهم مظاهر العدالة بين الجنسين. (2)

وبعد هذا العرض السَّريع لحال المرأة في أحد المجتمعات الإسلاميَّة (الأردن) وهي تتمتع بحقوقها المغطاة بنصوص الدَّستور وتحت حماية القانون، نجد فيه ردًّا جليًّا لتهمة ازدياد المرأة وامتهان حقوقها.

بالطَّبع سنجد في المجتمع الإسلامي انتهاكًا من البعض لتعاليم الدِّين فيما يتعلَّق بشأن المرأة، إلا أنَّ السَّمة العامَّة هي صيانة المرأة والحفاظ عليها بشكل عام، وانخفاض معدَّلات الجريمة التي يتسبَّب بها انفلات المرأة أخلاقيًّا وما يترتب عليه من فتنة تؤثر في وضع المرأة والمجتمع على حدٍّ سواء.

وبنظرة سريعة على معدَّلات الجريمة الخاصَّة بفتنة النِّساء في المجتمعات الغربيَّة، نجد البون الشاسع بين وضع المرأة المصان في المجتمعات المسلمة، ووضع المرأة في المجتمعات اللادينيَّة التي تستشري فيها الأمراض التي تنخر في جسد المجتمع.

ثانيًا: المفارقة الشاسعة بين معدَّلات الجريمة التي تستهدف المرأة في المجتمعات اللادينيَّة والمجتمعات المسلمة.

عندما نطلع على وضع المرأة في المجتمعات اللادينيَّة تتطلي على البعض خدعة التَّحرر، حيث لا ضوابط ولا تعاليم دينيَّة ولا قيم أخلاقيَّة، امرأة غارقة في الشهوات وتحصيل ما أمكن من المتعة، حيث لا سلطة للأسرة، بل على العكس نجد اضطراب وضع المرأة في المجتمع هو أوَّل معول في هدم النظام الأسري، والأسرة كما هو معلوم اللبنة الأولى والمكوِّن الأساس في بناء المجتمع، غاب مسمَّى الأم فكثُر السفاح وأولاد الزَّنا الذين يتخلَّى عنهم آباؤهم بمجرَّد الوضع فلا يجدون من يعولهم فضلًا عن تربيتهم، وكذلك ما عاد هناك وجود لربيَّة المنزل التي ترعى ببيتها وتنشئ أولادها التَّنشئة الصَّالحة، فتمزَّدت المرأة وطالبت بالمساواة مع الرِّجل وغضَّت الطَّرف عن الفوارق الخلقية التي تجعل من الرِّجل راعيًا لها وليس نداءً عليها منافسته.

وبالإطلاع على بعض الإحصائيَّات نجد سوء الحال الذي وصلت له المرأة في المجتمعات اللادينيَّة، وهو الأمر الذي حذَّر منه الرسول صلى الله عليه وسلم والفتنة التي يجب اتقاؤها كي لا تقسد المجتمعات.

في عام 2011، كان معدَّل حمل المراهقات في الولايات المتَّحدة هو الأعلى بين الدَّول المتقدِّمة كما كان معدَّل الإجهاض مرتفعًا. (1)

(1) انظر موقع رئاسة الوزراء/ الأردن، مقال التقرير الحكومي ليوم المرأة العالمي، الموقع pm.gov.jo

(2) انظر تقرير دائرة الإحصاءات العامة، المرأة الأردنية في صورة إحصائية بمناسبة اليوم العالمي للمرأة، 3 آذار 2019، الموقع

dosweb.dos.gov.jo

وتشير أرقام وبيانات رسمية إلى أنَّ معظم الأطفال في بريطانيا بحلول 2016 سيولدون لآباء غير متزوجين ، وقد ارتفعت نسبة الأطفال المولودين خارج إطار الزواج إلى 47.5 بالمئة عام 2012، وتشير بيانات مكتب الإحصاء المركزي إلى أنَّ هذه النسبة لم تكن تتجاوز 4 بالمئة في عام 1932.⁽²⁾

ومن ناحية أخرى يعتبر قتل النساء في الولايات المتحدة مسؤولاً عن مقتل 4 نساء يومياً ، وهو السبب الرئيس المؤدي لوفاة النساء الأمريكيات الإفريقيات ما بين أعمار 15-24 عاماً، وعن وفاة النساء أثناء عملهن.⁽³⁾

وجاء في تقرير مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة عن حالات الاغتصاب التي تمَّ التبليغ عنها، حيث تصدّرت المجموعة في حالات الاغتصاب على مستوى العالم، الولايات المتحدة، تليها البرازيل ثمَّ فرنسا...⁽⁴⁾

بالتأكيد هذه الظواهر المرعبة، والإحصائيات المخيفة التي تشير إلى وهن المجتمع وترديّه أخلاقياً هي ذاتها ما حذر منه رسول الله حين قال: " واتَّقُوا النِّسَاءَ"، فالمرأة نصف المجتمع إذا فسدت كان مآل المجتمع إلى الفساد حتماً.

وفي معرض الحديث عن الأرقام والدراسات الصادمة حول تردي وضع المرأة في المجتمعات اللادينية يعلّق الباحث الأمريكي الجنسية ياباني الأصل فوكوياما، و يضع اللوم كلّهُ على النساء وأنَّ الثلاثين سنة الماضية التي انتشر فيها تحرّر المرأة قادت إلى كل الأمراض الاجتماعية التي يعاني منها الغرب.

ويرى فوكوياما السبب في أنَّ المجتمعات الآسيوية ابتداءً من اليابان كانت قادرة على تجنّب المشكلات التي واجهت المجتمعات الأوروبية والأمريكية هو أنَّها كانت قادرة على مقاومة مساواة المرأة مع الرجل.

ويطالب فوكوياما المجتمعات الغربية أن تعود إلى فرض التفاوت في الأجور بين النساء والرجال حتى تعود المرأة إلى الاعتماد على الرجل في دخلها فهذا قد يساعد في عودة الأسرة المكونة من الوالدين.

ويحدد فوكوياما السنة التي بدأ فيها انهيار الأسرة وهي 67 أو 63 حينما انتشرت موانع الحمل، وفرضت الأجور المتساوية بين الرجل والمرأة، فعندما أصبحت المرأة قادرة على السيطرة على خصوبتها وأصبح لديها دخل كاف فلم تعد معتمدة على الرجل وأصبح الطلاق والعيش بدون زوج أمراً ليس ممكناً فقط بل أصبح مرغوباً.

فالإسلام يقرّ أساساً بمساواة المرأة مع الرجل، ولكن لا يكلفهن الإنفاق على الأسرة مهما كان دخل المرأة أو ثروتها. والعدل هو الأساس الذي قامت عليه الشريعة..⁽⁵⁾

وتجدر الإشارة إلى ذكر محاولات الفكر اللاديني لتغريب المرأة المسلمة في حقبة مختلفة، كان أهمّها ما جاء على يد المستشرقين.

" عرف المستشرقون والمبشرون والغرب عامة، ما للمرأة المسلمة من تأثير على الأسرة، وعلى المجتمع الإسلامي كله بوجه عام، فوجّهوا شطراً من أعمالهم التبشيرية إليها.

كانت المرأة المسلمة الملتزمة بأداب الإسلام بعيدة عن الاختلاط في مجتمعات الرجال، فبدا لهم أن يشجعوا المرأة المسلمة على التعليم المختلط، وأن يقيموا الأندية النسائية والمخيمات الكشفية النسائية، ثم ما زالوا يتدرجون في كسر الحواجز بين الذكور والإناث، حتى شاعت المجتمعات المختلطة بين المسلمين والمسلمات بتأثير العدوى، وصفقوا لها حين نزعَتْ حجابها.

(1) انظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مقال حمل المراهقات ، الموقع ar.wikipedia.org

(2) انظر شبكة أخبار bbc بالعربي، مقال معظم مواليد بريطانيا خارج إطار الزواج بحلول 2016، بتاريخ 11 تموز 2013، الموقع bbc.com/arabic

(3) انظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مقال قتل النساء، الموقع ar.wikipedia.org

(4) انظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مقال الاغتصاب ، ar.wikipedia.org

(5) انظر مطبقاني مازن، صور من حياة المرأة في الغرب، ص 20-23.

وكذا استخدم المستشرقون والغزاة المرأة في الاستيلاء على غرائز الشباب، وقد فعلوا ذلك منذ بدء النهضة العلمية والصناعية الحديثة التي تولى الأوروبيون قيادتها في العالم وبعد تملك غرائز الشبان عن طريق النساء، يتمكنون من التلاعب بأفكارهم وعقائدهم، وبإخلاصهم لأمتهم وبلادهم، وبسائر أخلاقهم الشخصية والاجتماعية.

ورأت الفتاة المسلمة افتتاح الشباب بالمظاهر الخادعة التي تبرز بها الكوافر والفواجر، فتحرك فيها الدافع الفطري، فجرت في سباق مع وادعات الفتنة والفساد، لتعيد بزعمها ما فقدته من إعجاب الرجل بها.⁽¹⁾ ويمكن القول بأن المرأة إعلاميًا تعد في غالب أحوالها مجرد قشرة وغلاف خارجي لامع، محشوة بكم هائل من المواد الاستهلاكية تعتمد على سلوكيات غريبة وتفاخر بها، وتعتبر قيمة جمالية شكلية محصورة في كيف تكون الأجمل والأكثر أناقة وجاذبية، وإفساد عقلها بالتركيز على مشاكل ثانوية لا ترقى لمستوى الفكر والإدراك.⁽²⁾ ومن مظاهر التغريب التي وقعت فيها المرأة المسلمة الاختلاط في الدراسة والعمل، فكلما تلاقى الرجل والمرأة كلما ثارت الغرائز وانبعشت الشهوات الكامنة ووقعت الفاحشة.

ومن المظاهر أيضًا التبرج والسفور، وكذا متابعة صرعات الغرب المسماة بالموضة والأزياء وتقليدها بكل تقبل وتفاخر.⁽³⁾ وللأسف نجد شريحة لا بأس بها قد افتتنت بأضواء الحضارة الغربية وغاب عنها ما تنطوي عليه من فساد، لذا سلكت مسلك التقليد الأعمى للمرأة الغربية، ولكن هذه الشريحة لا تمثل إلا نفسها، فالتأثر للمجتمعات الإسلامية يدرك بوضوح أن النمط العام في هذه المجتمعات هو الالتزام والمحافظة ما أمكن على تعاليم الدين والعادات والتقاليد المستمدة أصلاً من روح التشريع. لذا نجد الحجاب هو الشعار العام للمرأة المسلمة على اختلاف في تفاصيل هذا الحجاب، وذلك لوعي المرأة المسلمة لأهمية الحجاب في حفظ المرأة وصيانة عرضها.

" لقد كرم الإسلام المرأة وفرض عليها الحجاب ليحفظها من الأشرار وأعين الناس، ويحفظ المجتمع من سفورها. فالمرأة في نظر الإسلام أشبه بالجوهر النفيسة التي يسعى صاحبها لسترها عن أعين الناس".⁽⁴⁾ ولا يغيب عنا أثر الحجاب في ترسيخ خلق الحياء الذي يرفع المرأة درجات عند الناس وعند الله.

" فالحياء من المقننات الفطرية للأنوثة، والحياء بطبيعته يميل إلى التخفي لأن به يحفظ وجوده في النفس وفي المجتمع، فلا حياء مع العري. والحياء مبدأ إسلامي كلي سواء كان في الأقوال أو الأفعال أو في الألبسة أو في التصرفات وسائر الحركات.⁽⁵⁾ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعْظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»⁽⁶⁾

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
من خلال النظر في المعنى الحقيقي الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث وخاصة قوله: " واتقوا النساء " يتبين لنا ما يلي:

(1) نجا فاطمة هدى، المستشرقون والمرأة المسلمة، ص 37-39.

(2) العسيري إيمان، قضية تحرير المرأة في الغرب، ص 357.

(3) انظر البشر بشر بن فهد، أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص 27.

(4) انظر زينو محمد بن جميل، تكريم المرأة في الإسلام، ص 33.

(5) الأنصاري فريد، سيماء المرأة في الإسلام، ص 33.

⁶ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، 14/1، ح (24).

أولاً: أهميّة التحذير من الوقوع في فتنة النساء، وهي حال تخلّي المرأة عن دينها وأخلاقيها فتكون سبباً في فساد المجتمع، حيث تتخلّى عن دورها في في عمارة الكون جنباً إلى جنب مع الرجل وفق ما يناسب طبيعة تكوينها النفسي والجسديّ. ثانياً: خلّو هذه الشبهة من المنهجية العلمية حيث تجتزئ الكلام من سياقه، وتغض الطرف عن الواقع الذي يخالف الشبهة في الماضي والحاضر.

ثالثاً: واقع المرأة في كل حقبة من تاريخ وحاضر الإسلام خير رد على شبهات المشكّكين، حيث يؤكّد على رعاية الدين لحقوق المرأة والتّرعيب في ذلك تأسيساً بصنيع رسول الله صلى الله عليه وسلم. رابعاً: نموذج المرأة في الأردن البلد المسلم الذي يستمدّ دستوره من تعليمات الإسلام يعطي مؤشراً حقيقياً على احتفاظ المرأة بمكانتها السّامية في المجتمع على مرّ العصور، ذلك أنّ هذا التشريع السّماوي صالح لكلّ زمان ومكان ولا يقتصر على عصر النبوة وحسب.

خامساً: المفارقة الواضحة بين معدّلات الجريمة الخاصة بالمرأة في المجتمعات اللادينية والمجتمعات الإسلامية تؤكّد أهميّة تحذير الرّسول صلى الله عليه وسلم من فتنة النساء إذا أردنا الحفاظ على المجتمع. ومن هنا فإنّ الباحثة توصي بما يلي:

أولاً: لا بدّ من تتبّع شبهات المفسدين وتفنيدها والردّ عليها، والثّقة كلّ الثّقة بأنّ كلام سيّد الخلق ما هو إلاّ وحي يوحى، وأنّى للوحي أن يخطئ.

ثانياً: متابعة الإحصائيات العالمية التي تخصّ المرأة، وتجليّة الحال المتردّي الذي آلت إليه المجتمعات الغربيّة فيما يخصّ وضع المرأة، حتى لا تتطلي فكرة التحرر المزعوم على أصحاب الأفق الضيّق. ثالثاً: مواجهة الحرب الشرسة ضد المرأة فيما يعرف بتغريب المرأة، وإنّما يكون ذلك بالوعي التّام لدور المرأة الحقيقي في المجتمع، وإدراكها للحقوق التي منحها إياها الشريعة، وأدائها لواجباتها الموكلة إليه، وابتعادها عن التّقليد الأعمى والذي لا يأتي بخير.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (1994م)، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط1، (د.م) - دار الكتب العلمية.

ابن إسحاق محمد، ابن يسار المطلبي بالولاء المدني (1978م)، *سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)*، تحقيق: سهيل زكار، ط1، بيروت - دار الفكر.

الأنصاري فريد (2003م)، *سيماء المرأة في الإسلام*، ط1، منشورات ألوان مغربية، (د.م) البشر بشر بن فهد (1994م)، *أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة*، ط1، الرياض، دار المسلم. ابن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (2001م)، *مسند أحمد*، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، (د.م)، مؤسسة الرسالة. التّستور الأردني.

الزركشي بدر الدين (1970م)، *الإجابة لما استدرّكته عائشة على الصحابة*، تحقيق سعيد الأفغاني، ط2، (د.م)، المكتب الإسلامي.

- زينو محمد بن جميل (د.ت)، *تكريم المرأة في الإسلام*، (د.ط)، (د.م)، دار القاسم.
- ابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري (1990م)، *الطبقات الكبرى*، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت- دار الكتب العلمية.
- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي (1379)، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (د.ط)، بيروت- دار المعرفة.
- العسيري إيمان (د.ت)، *قضية تحرير المرأة في الغرب*، ط1، (د.م)، مركز باحثات لدراسات المرأة.
- عمارة محمد (2009م)، *تحرير المرأة بين الغرب والإسلام*، ط1، القاهرة - مكتبة الإمام البخاري.
- الغزالي محمد (د.ت)، *المرأة في الإسلام*، (د.ط)، (د.م) - مطبوعات قطاع الثقافة.
- قرداش آمال (د.ت)، *دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى*، ط1، قطر - منشورات كتاب الأمة.
- كيال باسم (1981م)، *تطور المرأة عبر التاريخ*، ط1، (د.م) - مؤسسة عز الدين للنشر.
- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (د.ت)، *سنن ابن ماجه*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، (د.م) - دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- مطبّقاني مازن (2005م)، *صور من حياة المرأة في الغرب*، ط1، (د.م) - (د.ن).
- المعافري عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، أبو محمد، جمال الدين (1955م)، *السيرة النبوية لابن هشام*، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، مصر - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- المنّاوي زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (1356هـ)، *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، ط1، مصر - المكتبة التجارية الكبرى.
- موقع دائرة الإحصاءات العامة الأردني. dosweb.dos.gov.jo
- موقع رئاسة الوزراء الأردني. pm.gov.jo
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة. ar.wikipedia.org
- نجا فاطمة هدى (د.ت)، *المستشرقون والمرأة المسلمة*، (د.ط)، (د.م) - دار الإيمان.
- النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (2001م)، *السنن الكبرى*، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، بيروت - مؤسسة الرسالة - بيروت.
- نصيف فاطمة (2010م)، *حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة*، ط1، (د.م) - مركز السلام.
- النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (1392هـ)، *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، ط2، بيروت - دار إحياء التراث العربي.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (د.ت)، *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت - دار إحياء التراث العربي.

قائمة المراجع المرومنة:

The Holy Quran.

Al-Ansari Farid (2003 AD), *The Appearance of the Woman in Islam*, (In Arabic), 1st ed., Moroccan Colours Publications, (No City)

- Al-Asiri Iman (No Date), *The Case for Emancipation of Women in the West*, (In Arabic) 1st ed., (No City), Researchers' Centre for Women Studies.
- Al-Asqalani Ahmad bin Ali bin Hajar Abu al-Fadl al-Shafi'i (1379 AH), *Creators' Conquest in Bukhari's Clear Explanation*, (In Arabic) the number of his books, chapters and hadiths: Muhammed Fuad Abdul-Baqi, rectified, corrected and supervised by: Muheb al-Din al-Khatib, commented by the scholar: Abd al-Aziz bin Abdullah bin Baz, (No Edition), Beirut - House of Knowledge
- Al-Bisher Bisher Bin Fahd (1994 AD), *Seculars' Methods of Westernizing Muslim Women*, (In Arabic) 1st ed., Riyadh, Dar Al-Muslim.
- Al-Ghazali Muhammad (No Date), *Women in Islam*, (In Arabic) (No Edition), (No City) - Publications of the Culture Sector.
- Al-Maafari Abdul Malik Bin Hisham Bin Ayoub Al-Himyari, Abu Muhammad, Jamal Al-Din (1955 AD), *Biography of the Prophet by Ibn Hisham*, (In Arabic) verified by Mustafa Al-Sakka, Ibrahim Al-Abyari and Abdul Hafeez Al-Shalabi, 2nd ed., Egypt - Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Bookshop and Printing Company
- Al-Manawi Zain Al-Din Muhammad aka Abdul-Raouf Bin Taj Al-Arifin Bin Ali Bin Zain Al-Abidin Al-Haddadi (1356 AH), *Creator's Abundance in Explaining the Small Collection*, (In Arabic) 1st ed., Egypt - The Great Commercial Bookshop.
- Al-Nasa'i Abu Abd al-Rahman Ahmad bin Shuaib bin Ali al-Khorasani (2001 CE), *The Great Manners of Conduct*, (In Arabic) verified and rectified by: Hassan Abd al-Moneim Shalabi, supervised by: Shuaib al-Arnaout, introduced by: Abdullah bin Abd al-Muhsin al-Turki, 1st ed., Beirut - The Message Foundation - Beirut.
- Al-Nawawi Abu Zakaria Muhyiddin Yahya Bin Sharaf (1392 AH), *the Way in Explaining Muslim's bin Al-Hajjaj Rectified Hadiths*, (In Arabic) 2nd ed., Beirut - House of Revival of Arab Heritage.
- Al-Nisaburi, Muslim bin al-Hajjaj Abu al-Hasan al-Qushayri al-Nisaburi (No Date), *the Abridged Authentic Attribute of the Transmission of the Credible from the Credible to the Messenger of God, peace and blessings be upon him*, (In Arabic) verified by: Muhammad Fuad Abd al-Baqi, (No Edition), Beirut - House of Revival of Arab Heritage.
- Al-Zarkashi Badr Al-Din (1970 AD), *the Answer to What Aisha Amended About the Companions*, (In Arabic) verified by Saeed Al-Afghani, 2nd ed., (No City), Islamic Office
- Amara Muhammad (2009 AD), *The Liberation of Women Between the West and Islam*, (In Arabic) 1st ed., Cairo - Imam Al-Bukhari Bookshop.
- Ibn al-Atheer Abu al-Hasan Ali bin Abi al-Karam Muhammad bin Muhammad bin Abd al-Karim bin Abd al-Wahid al-Shaybani al-Jazari, Ezz al-Din Ibn al-Atheer (1994 AD), *The Lions of the Forest in the Knowledge of the Companions*, (In Arabic) verified by: Ali Muhammad Muawad - Adel Ahmed Abdel Mawjood, 1st ed., (No City) - House of Scientific Books.
- Ibn Hanbal Abu Abdullah Ahmad Ibn Muhammad Ibn Hanbal Ibn Hilal Ibn Asad Al-Shaibani (2001 AD), *the Attribute of Ahmad*, (In Arabic) verified by: Shuaib Al-Arnaout - Adel Murshid, and others, supervised by: Dr. Abdullah bin Abdul-Mohsen Al-Turki, 1st ed., (No City), Mission Foundation.
- Ibn Ishaq Muhammad, Ibn Yassar al-Muttalabi Bil Wala'a Al-Madani (1978 AD), *Biography of Ibn Ishaq (Book of Biographies and Significances)*, (In Arabic) verified by: Suhail Zakkar, 1st ed., Beirut - Dar Al-Fikr
- Ibn Majah Abu Abdullah Muhammad Ibn Yazid al-Qazwini (No Date), *Manners of Conduct of Ibn Majah*, (In Arabic) verified by: Muhammad Fuad Abd al-Baqi, (No Edition), (No City) - House of Revival of Arabic Books - Faisal Issa al-Babi al-Halabi.
- Ibn Saad Abu Abdullah Muhammad Bin Saad Bin Manee Al-Hashemi Bil Walaa, Al-Basri (1990 AD), *The Major Classes*, (In Arabic) edited by: Muhammad Abdul-Qadir Ata, 1st ed., Beirut - House of Scientific Books.

- Jordan Department of Statistics website. <<dosweb.dos.gov.jo>>
Jordanian Prime Ministry website. <<pm.gov.jo>>
Kayyal Basima (1981 AD), *The Evolution of Women Throughout History*, (In Arabic) 1st ed., (No City) - Ezz El-Din Publishing Corporation.
Matbaqani Mazen (2005 AD), *Pictures from the Life of Women in the West*, (In Arabic) 1st ed., (No City) - (No Publisher)
Naja Fatima Hoda (No Date), *Orientalists and the Muslim Woman*, (In Arabic) (No Edition), (No City) – House of Faith.
Nassif Fatima (2010 AD), *Woman's Rights and Duties in Light of the Book and Sunnah*, (In Arabic) 1st ed., (No City) - Peace Centre.
Qardash Amal (No Date), *The Role of Women in Serving Hadith in the First Three Centuries*, (In Arabic) 1st ed., Qatar - The Nation Book Publications.
The Jordanian Constitution.
Wikipedia the free encyclopaedia. ar.wikipedia.org
Zeno Muhammad bin Jamil (No Date), *Honouring the Woman in Islam*, (In Arabic) (No Edition), (No City), Dar al-Qasim.